

التدريب على التعريب

لخبرة الكاتب العالم المحقق والباحث المتفطن المدقق الاب انتناس الكريلي

لقد اصبحنا في زمان ضاق دونه نطاق اللغة العربية . وغدا ابناءؤها في حاجة ماسة الى إدخال الكلم الاعجمية . في مصطلحاتها العلمية والصناعية . اذ ليس اليوم من كاتب يكتب عن شيء عصري . او يُنتدب لتأدية رسم فكري . او تصوير امرٍ فطري . الا ويتخذ لذلك قوالب غريبة . وصوراً ألوانها جديدة قشية . وهذا ما تشهد به الصحف التي تجوب الأقطار . والكتب العربية التي تولف في جميع الديار . الا انه وان كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان . ووجوب ادخال الاعجمي فيه على تراخي الزمان . غير انهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوره كل حزبٍ من وراء ذلك على اللغة من الخيف

اماً من جهة « الكم » فان البعض منهم « افراطوا » في استعمال الدخيل اي افراط . حتى اثار في كثيرين الهياط والمياط . واشتد فيهم الصخب والعياط . ومنهم من « فرط » (١) اي تغريط . حتى عدّ ممن ليس من هذا العصر الجديد النشيط . بل ممن اذا قيل له تتم يقول « حتى يحبي » نشيط . ومنهم من ركب متناً « وسطاً » جامعاً بين الطرفين . ياخذ الزين . ممّاً في الاثنين . ويدفع الشين . الى مطارح البين والحين . وهذا الراي يكاد يكون الراي الغالب في هذه الأيام . وعليه يعول العلماء الأعلام

اماً من جهة « الكيف » فان منهم من ذهب الى وجوب ادخال اللفظة الاعجمية هيئتها وصيغتها الاجنبية . ومنهم من قال بان تفرغ الكلمة اولاً بقالب عربي . ثم توزن عيزان قريشي . فان كان فيها ما يشغل الميزان . او يوقر الآذان . طُرحت تلك الزيادة . وان اضرّت بالفائدة او الافادة . ثم يسحل مكانها . ويؤلم صوغها وبنائها . وبعدئذ تبرز تلك الفرائد من وراء ذلك القناع . لترصع بها اصداف الاسماع . وان كان فيها كلم او نقصان . يُزاد عليها بعض الزيدان . لتلحق باحد الاوزان العربية . والصيغ

(١) فرط في الشيء . قصر فيه وعجز وهو ضد افراط

المسموعة عن ائمة اللغة المصّرية . واما على اى وجه تكون هذه الزيادة او هذا الطرح .
فمما يطول فيه الشرح . لانهم تركوه الى الاهواء والاذواق . او ما انعقد تحت هذا الباب
او هذا النوع من الرواق

ومنهم من قال لا حاجة لنا الى ادخال كلمه اعجمية . في اللغة العربية . بل يوضع
فيها ما يعني معناها . فيغني معناها . وذلك على الطريقة التي دخلت الكلمة الغصرية .
في اللغة الاجنبية . وفي كل هذه المذاهب من الآراء . ما اثار بين اصحابها حربا سجالا .
واستلزم لشرحها مقالات طوالا . وبعد ان اجلسنا النظر في ما كتب هؤلاء الادباء .
ووقفنا على ما عثرنا عليه في كتب القدماء النجباء الالباء . احصنا هذه المقالة . لعلها
تكون للعاثر اقالة . وللجائع نجالة . هذا وقد اعتمدنا في كل ما حررناه على اقوال
الائمة . مؤيدين كل راي بما له من الاسانيد المهمة . مستخلصين من نصوصهم بعض
قواعد ظواهر . تكاد تزي بالقرائد النوادر . لا بل بالخرائد النواضر

١ دفع راي من يفطر في ادخال الالفاظ الاجمعية في اللغة العربية

اذا انعمت النظر في ما يكتبه هؤلاء الادباء ترى القاطهم الاعجمية لا تحلو من
احد هذه الامور الثلاثة وهي : كلم دخيلة لا مرادفات لها في العربية . وكلم لها
مرادفات فيها لكنهم يجهلونها . وكلم يمكن ان يوضع لها مرادفات من نفس اللغة . غير
ان هؤلاء الكتبة لا يلتفتون الى هذه الفروق بل كثيرا ما زاهم يدوتون الالفاظ
الاجنبية حبا بها وتشبيها لاصحابها وافتخارا بادخال الفاظ غريبة لا ينهمها جمهور
القرأ . تبجحا بالتبخر في العلم والمعرفة وادعاء بهتك حجب الجهولات . فاذا كان الامر
كذلك فما احرى هؤلاء الفضلاء العقلاء ان يكتبوا باللغة الاعجمية فيردوا بذلك
غليلهم ويشفوا به عليهم ولا يجهزوا على لغتنا الشريفة

هذا واننا نفترض عليهم بقولنا : اذا كنتم تدخلون الكلمة الفلانية الاعجمية بدون
علة او بعة وهمية فلم لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة مجذا فيرها .
واذا كان الهوى هو الحكم في هذه الدعوى فسدت كل حجة لانه ليس من قائد
يقود الهوى ولا من رادع يردعه وهوى هذا غير هوى ذاك وما يرحب به زيد يدفعه عمرو
وعليه فما تلبث اللغة ان تصبح العوبة بيد هؤلاء الاقوام المتباينين في المشارب والمذاهب

ولا تعتم ان تنقلب طُطْطانية او رُطُطني او لغة مبلبلية لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر ومن الامور التي تُوجب علينا تسفيه راي مثل هؤلاء الكتّاب ان اللغة العربية كما لسائر اللغات الفاظاً واطعاء خاصة بها فاذا كان يرذلها الكاتب لغايات في صدره فلماذا ينسب لنفسه بعد ذلك معرفة العربية ولماذا يدعي السلامة لعقله مع انه اذا راي رجلاً يخطب خطب عشواء في كلامه وينتقل من موضوع الى موضوع آخر ومن فكر اول الى فكر ثانٍ بدون جامع يجمع بينهما وبدون رابط يربط هذا بذلك يقول ان هذا الرجل مصاب في عقله ولماذا لا يقول مثل هذا القول لنفسه وهو ينتقل من لغة الى لغة ومن لفظ الى لفظ بدون سبب يؤذن له ذلك او يميز له هذا الانتقال

وهنا يعترض علينا اصحاب الراي المخالف بقولهم : ان اللغة ترجمان صادق عن حالة الأمة ينطق بحياتها ان رآها حية ويفصح عن احتضارها ان الفاها قد أشفت على شفا البوار والزوال . فاذا كانت حية فلا بُد لها من النمو وهذا يكون بالاضافة اليها من الخارج (اي من الدخيل) كما تنمو بالتوسع فيها من الداخل شأن الاجسام الحية قلنا : في هذا الكلام صحيح وفاسد . فصحيحه ان عنوان الحياة هو النمو . وفاسده ان يكون هذا النمو من الداخل والخارج بوجه الاطلاق . امّا موطن فسادِه فهو ان النمو لا يكون الا اذا كانت تلك الدقائق الجديدة (داخلية كانت او خارجية) تُوافق بناء الدقائق الجوهرية الاصلية . والا فان لم يتم هذا الشرط او ما ضاهاه تدافعت الدقائق وامتنع النمو واقبلت جيوش الاخلال والاضمحلال كما هو الامر في السحوم وسائر الاجسام الحية لغيرها اي اننا نرى هذه السُنة في نفس الجباد والنبات والحيوان وعلى مثالها حياة اللغة . فان الالفاظ الاجنبية التي لا يماثل جوهرها جوهر الالفاظ العربية او لعدم الحاجة اليها لا تزال تقاثل طائفة الالفاظ الاصلية حتى تُميت الواحدة الاخرى . فانظر مثلاً الى بعض الالفاظ مثل : جُرْئال و غُرْزَة ونحوها فانها كانت كثيرة الاستعمال قبل ٥٠ سنة فما ظهرت كلمة جديدة وصحيفة حتى التحم القتال بين هاتين وتلك ولم يَعد يبق للاولى أثرٌ في المصنّفات الحديثة . مع ان الكلمتين الاوليين قد أُفْرِغتا في قالب عربي ووُزِنتا بميزان قُرَيْشي

ويعترضون : ان العرب لما نقلوا كتب الاعاجم الى لغتهم ادخلوا كثيرًا من الالفاظ العلمية والاصطلاحية من لغات الاجانب فلماذا يجب علينا ان نكون أغبر

على العربية من اصحابها الاولين عليها ؟ - قلنا : ان ناقلي كتب الاقدمين فريقان . فريق عارف بالعربية وطرقها واساليبها وشعابها الخ . وفريق لا يعرف منها الا قواعد العامة الكافية لاصلاح كلامه وتحليصه من شوائب الخطأ والخلل . فالطائفة الاولى لم تدخل في العربية الا الشيء . التز الذي لا مندوحة عنه ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب والهندسة والفلسفة والمنطق وعلم الفلك وعلم ما وراء الطبيعة والتوراة وعلم الآداب والاخلاق ونحوها . فانك لا تكاد ترى في جميع هذه العلوم الا القليل من الدخيل . واما الفريق الآخر فلا يكاد يكلف نفسه عناء في ايجاد الالفاظ العربية المقابلة للعجمية ولذا اجتروا بتدوين الالفاظ على ما هي في اصلها . ومن هؤلاء المترجمين مترجمو علم الطب وعلم الطبيعيات وعلم المواليدي الجماد والنبات والحيوان وما كان من هذا الباب . الا انه لما وقعت تلك الترجمات بعد ذلك في ايدي الفصحاء من العرب طرحت كثيراً من الالفاظ الدخيلة وابقت منها ما شاع وذاع وخف على الاسماع اذ لم يجد سبيل الى ايماتها كما يتحققه كل امرئ خال من الغرض

ويقولون ان منع دخول الالفاظ العربية الاصل في العربية تضر بنهاها وتحول دون ثروتها . قلنا : ان مثل هذه الثروة لا تتميزها الضرورة فمثل ذلك مثل من يريد ان يتحول بسرقة مال الغير ونهبه وسلبه . نعم ان من ينظر الى مجرد النمو في الثروة يراه امراً راهناً لكن اذا فكر في اسباب جمعها حكم مجرمها ولم يحل ابقائها عند صاحبها والحلاصة من هذا الفصل انه لا يجوز لنا ان نحز بكل غريب ونضيف كل دخيل ان لم يكن ثم ما لا يُغنيناه عنه او ضرورة تلجئنا اليه . وعليه فلا يحسن بنا ان نجاري الكتبة المعجمين في كل ما يكتبونه او يقلوناه لنا بل علينا ان نتخذ من الالفاظ العجمية ما يفي بالمقصود او يصلح المفسود

٢. دفع راي من يُفَرِّط في ادخال الالفاظ العجمية في العربية

بين كتبة العربية في هذا العصر جماعة لا يقبل اصحابها بل ولا يريدون ان يسمعوها بكلمة عجمية تدخل لغتهم . غير ان معظم هؤلاء الافاضل اناس لا خبرة لهم باللغات الاجنبية او ان اردت قلل ليس لهم خبرة تأمة او ليس لهم وقوف على ما يستحدثه كل يوم علماء البلاد الاجنبية وما يجترعونه من الآلات والادوات الصناعية

وما يستنبطونه من مجهولات الطبيعة واسرارها الخفية وما ينشئون من المصنّفات العلمية المشحونة من المعاني الدقيقة والأفكار الأنيقة والتصاویر البديعة والأوصاف العجيبة التي لم تكن على بال السابّين ولم يطفّ ظنّها في مَطاق خيالة الأولين. - وقول البعض ان الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هو من المزاعم الصيانية تفنّدها الحقيقة في كل زمن اذا ما احبّ الباحث الصادق النية الوقوف عليها بمخلوص الطويّة

هذا ولنا اسوة بسائر الأمم وأقويها وكتبها ومصنّفها فانهم لا يدخلون كلمة غريبة في لسانهم ألا اذا ارادوا ان يعتبروا بها عن صورة معنويّة جديدة او يتوخّوا فائدة من اللفظ او غاية لا يصلون اليها اذا اتخذوا الفاظ لغتهم سبيلاً الى ذلك او اذا لم يجدوا لها مرادفاً في لغتهم او اذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة. وعليه فجارأنا اياهم في هذا الميدان. ممّا يحمدّه كل انسان . وينطق بالشاء عليه كل لسان

وبدون ان نأتى بالايجاب فلنقتف آثار من تقدّمنا من العرب وكُتّابها الضلعا. فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتّخاذ الألفاظ الاعجميّة كلّما دعت الضرورة اليها. ولنا من الاعجمي الذي سبق ظهور الاسلام ودخل في ابان انتشاره او بعده بقليل او كثير ما يضمن لنا جواز الاخذ عن الاعاجم كلما مسّت اليه الحاجة او قصرت اللغة عن تأديته او وضع مرادف له

وربّ معترض يقول: ان الاخذ عن الاعاجم اهانة بحق اللغة العربيّة الواسعة كأنها ترميها بشائبة النقص. قلنا: لا اهانة في ذلك ولا منقصة لان هذا يكون اذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الامور العاديّة او الطبيعيّة او الحاجيّة او ما شابهها. واما ما في عدا ذلك فلا

واما معرفة الالفاظ التي يجب علينا ادخالها للغة العربيّة وما هي الطرق والقواعد لتعريبها وبأي الصور نصعّمها في عداد الالفاظ العربيّة فسوف يأتي الكلام على هذا الموضوع في موطنه ان شاء الله. - واما اذا سألتني: هل يجوز اتّخاذ التعابير الاجنبية والتصاویر الاعجميّة ممّا لا عهد به للعرب؟ - فقد اجبتك عن هذا في ما سبق من كلامنا في المشرق (٢١٧: ٦) بجواب وافٍ شافٍ فراجع في محله واكتف بهذا التلميح عن التكرار فانه بهذا الصدد كافٍ

٣ انتاج خبجاً وسطاً في التمرير

هذا النهج يَنْهَج مِمَّا تَقَدَّمَ الْقَوْل فِي الْمَقْدَمَتَيْنِ أَيِ انْكِ إِذَا ابْتَعَدْتَ عَنِ التَّقْيِضَتَيْنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ لَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا الْوَسْطُ عَلَى حَدِّ الْقَوْلِ الْمَأْثُورِ: «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا» وَلَمَّا كَانَ الْمَشْرِقُ قَدْ أَفَاضَ فِي الشَّرْحِ عَنْ هَذِهِ النَتِيجَةِ (٣: ٧٧٣) وَمَا يَلِيهَا لَمْ يَبْقَ فِي النَّفْسِ حَاجَةٌ إِلَى خَوْضِ غَمَارِ هَذَا الْبَحْثِ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى

٤ دَفْعُ رَايٍ مِنْ لَا يُرِيدُ إِدْخَالَ الدَّخِيلِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

لَا حَاجَةَ فِي تَحْطِنَةِ هَذَا الرَّايِ وَتَسْفِيهِهِ فَانَّهُ مِنْ ذَاتِهِ لَا يَقُومُ عَلَى قَائِمَةٍ قَوِيَّةٍ إِذَا أَنْ أَوْدَعَهَا وَفَسَادَهَا ظَاهِرٌ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ هَذَا وَانْكِ تَعْلَمُ أَنَّ أَصْحَابَ هَذَا الْمَذْهَبِ أَفْرَادٌ يُعَدُّونَ عَلَى الْأَصَابِعِ وَمَعْظَمُهُمْ غَيْرُ وَاقِفِينَ عَلَى الْحَالَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ الْحَاضِرَةِ بَلْ وَلَا عَلَى الْحَالَةِ اللَّغَوِيَّةِ السَّابِقَةِ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَجَعُوا إِلَى الْمَعْلَقَاتِ وَسَاوَرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي نُظِمَتْ بَعْدَهَا لَا بَلْ لَوْ وَقَفُوا عَلَى مَا سَبَقَ تِلْكَ الْمَعْلَقَاتِ لِتَحَقُّقِهَا أَنَّ الدَّخِيلَ قَدْ تَسَرَّبَ إِلَى كَلَامِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي ذَلِكَ أَدْنَى رَيْبٍ فَكَيْفَ يَطَابُونَ بَعْدَ هَذَا بَيْضِ الْأُنُوقِ وَالْأَبْلَقِ الْعُقُوقِ

طَرَف

من كتاب تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن الصابني

سَأَنَّا كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ أَنَّ تَرْيِدَهُمْ عِلْمًا عَنْ تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ فِي الْمَشْرِقِ (٦): ٤٦٦-٤٧٥) وَعَنْ مَحَلِّ مِيعَةٍ مَعَ ثَقُلِ بَعْضِ طَرَفٍ مِنْهُ فَاجِئْنَا إِلَى طَلِبَتِهِمْ. هَذَا الْكِتَابُ عِبَارَةٌ مِنْ ٥٨٠ صَفْحَةٍ وَهُوَ لَا يَزَالُ تَحْتَ الطَّبْعِ وَبَيْنَهُ ثَمَرُهُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ وَأَتَمَّا يَطْلُبُ مِنْ مَتَوَلِّي طَبْعِهِ الْمَسِيوِ امِيدُورُوسُ جَذَا الضَّوَانِ

H. J. Amedroz

7, New Square, W. C., London

وَمِنْ ارَادَ أَنْ يَطْلُبَهُ عَلَى يَدِ مَطْبَعَتِنَا لَبَيْنَا طَلَبَتُهُ وَغَنَ الْكِتَابَ ١٥ فَرَنْكًا. وَهَذِهِ طَرَفٌ مِنْهُ تَبَيَّنَ مَحَاسِنُهُ

ل. ش